ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Asst. Prof. Dr. Saadoun Abdulhadi Barghash Al-Ameer
College of Education for Human Sciences, University of Wasit

Keywords: Humanity, Rights, Ancient Iraq, Tyranny, Oppression, Evil, Justice, Equality.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 21 Feb2025
Accepted 27Mar2025
Available online 1APr2025

The Concept of Humanity in Ancient Iraqi Thought

ABSTRACT

This study examines the concept of humanity in ancient Iraqi thought through the literary, legal, and historical writings left behind by the ancient Iraqis. It seeks to understand their perspective on human beings and their material and moral rights, as well as to determine the extent to which these ideas were implemented in practice or remained merely theoretical. The study highlights that humanitarian concepts in ancient Iraq were closely linked to religion, as the universe and everything within it were believed to function according to divine will.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4086

مفهوم الانسانية في الفكر العراقي القديم

أ.م.د. سعدون عبدالهادي برغش الأمير/كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة واسط

الملخص

تعالج الدراسة مفهوم الانسانية في الفكر العراقي القديم من خلال الكتابات التي خلفها العراقيون القدماء أدبية وقانونية وتاريخية للوقوف على نظرتهم للإنسان وما يتعلق به من حقوق مادية ومعنوية، وإلى أي مدى أخذت تلك الأفكار مداها في التطبيق أم كانت مجرد أفكار ولم تطبق على أرض الواقع. و المفاهيم الانسانية في العراق القديم ارتبطت بالدين، باعتبار ان الكون وكل ما فيه يدور ضمن المشيئة الإلهية.

الكلمات المفتاحية: الانسانية، الحقوق، العراق القديم، الاستبداد، الظلم، الشر، العدالة، المساواة

المقدمة

كان الإنسان وما يزال محور الحدث، كونه هو المنتج للفكر، وهو الذي يصنع الحدث، ومسيرة الإنسان في تاريخه الطويل عبارة عن إنجازات وإخفاقات في طريقه للوصول إلى مبتغاه بحياة أفضل يحقق فيها أهدافه وطموحاته. ومسيرته الطويلة لا تخلو من النجاح والإخفاق؛ وسعي دؤوب للوصول إلى حياة يحقق عبرها إنسانيته بعيدا عن التمييز والظلم والاضطهاد والعبودية وغيرها من الممارسات التي تُنقص من إنسانية الإنسان. ونحن في هذه الدراسة نحاول الوقوف على أفكار العراقيين القدماء في نظرتهم للإنسان وحقوقه وسلوكه، التي من خلالها تتحقق إنسانيته. ونود أن ننوه إلى أن بعض الشواهد التي أوردناها والتي تتعلق بالآلهة، وسقناها للدلالة على مفاهيم إنسانية، إنما هي في حقيقة الأمر أفكار الإنسان العراقي القديم عكسها على آلهته، كما لا يخفى علاقة مبدأ التشبيه في ذلك لذا فهي تجارب انسانية عكسها على الآلهة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تقوم مشكلة الدراسة على بيان أفكار العراقيين القدماء حول إنسانية الإنسان وحقه في العيش الكريم، والعوامل التي أسهمت في بلورة أفكاره الإنسانية، ومدى مساهمة تلك الأفكار في ترسيخ المفاهيم الإنسانية في المجتمع العراقي القديم؟.

أما فرضية البحث فتقوم على أن الفكر العراقي القديم قد حوى بين طياته مساهمات هامة في بلورة المفاهيم الإنسانية، وأن هذه المفاهيم لم تكن غائبة عن ذهنه كونها على مساس مباشر بحياته، ومؤثرة في مسيرته.

تأتي أهمية الدراسة من إسهامها في الكشف عن موضوع غاية في الأهمية شغل بال الإنسان وما زال، وإلقاء الضوء على إسهام الفكر العراقي القديم في مسيرة الإنسانية نحو الوصل إلى الإقرار بحقوق الإنسان المادية والمعنوية بعيدا عن التعسف والاضطهاد.

متن البحث

طرح الفكر العراقي القديم العديد من المواضـــيع التي تناولت المجالات الفكرية التي شـــغلت بال العراقي القديم، بل والإنسـان بشكل عام، ومنها ما يدور حول الإنسـان نفسـه؛ وما يرتبط بعلاقاته وحقوقه باعتباره أحد أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه.

إن أول ما يطالعنا هو المهمة التي خُلق من أجلها الإنســـان المتمثلة بخدمته للآلهة؛ تلك المهمة التي فيها الكثير من التســـلط والنظرة المتعالية للآلهة تجاه الإنســـان، فهو ليس أكثر من خادم لها يقوم بواجباتها. وقد فرض الإله انليل السخرة على الانسانية مع بداية خلق الإنسان.

" ومنذ اليوم التالي

قرر نظام السخرة معينا بذلك مصير

(البشر في المستقبل)" (الشواف، 1997، صفحة 97).

وهذه السخرة التي فرضت على البشر من الإله انليل بحسب الفكر العراقي القديم نجد تطبيقاتها موجودة على أرض الواقع . والفكر العراقي القديم لا يقف عند هذا الحد في بيان أهمية الإنسان وإسهاماته المتعددة في شؤون الحياة المختلفة فضلا عن موقعه في الكون. فالإنسان وفقا لذلك الفكر دون الآلهة في المنزلة لكنه فوق كل المخلوقات الأخرى فلا أحد يضـــاهيه، وفي هذا القول تكريم للإنســـان على ســـائر المخلوقات التي خلقتها الآلهة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

" عندما خلق الآلهة في مجمعهم كلّ الأشياء

كونوا السماء وشكّلوا الأرض

وأخرجوا للوجود الكائنات الحية

خلقوا قطعاً السهول ووحوش الفلاة ومخلوقات المدينة...

قام أيا بخلق زوجين شابّين

وأعلا شـــأنهما فوق جميع المخلوقات" (قاشـــا، 2010، الصـــفحات 186-187). وليس أدل على تكريم الآلهة للإنسـان من أنها جعلته على صـورتها (كريمر، 1973، صـفحة 200). ومن مظاهر تكريم الإنسـان؛ المهمة الأخرى التي خُلق لأجلها الإنســـان ألا وهي إعمار الأرض، واســـتخراج خيراتها ليكون عنصـــرا فاعلا في الحياة، فسـيدة الآلهة أرورو رسـمت أقدارا رائعة للبشـر (قاشـا، 2010، الصـفحات 191-192). ولعل من الأهداف المهمة لخلق الإنسـان تتمثل بتفادي العنف ونبذه الذي كان سـينشـب بين الآلهة الصـغيرة، التي أنهكها ثقل العمل، والآلهة الكبيرة، وبخلق الإنسان توحدت الآلهة من جديد وساد الوئام بينها. لذا يمكن القول أن خلق الإنسان ارتبط بفعل الخير (جواد، 1999، صفحة 42).

ووفقا لفكر العراقي القديم فإن الإنسان مهما كانت درجة إنسانيته يبقى دون درجة الكمال، وفي هذا الصدد يقول الحوراني:" وعندما تجاوزت حكمة أدابا الحدود الإنسانية المرسومة لها وحكمت الريح بحيث اغتاظ الإله الأكبر (آنو) من أيا الذي كشف للإنسان أسرار الآلهة، صمم أيا على إثبات إنسانية الإنسان وإثبات عدم صلاحه للخلود. وعندئذ خطط أيا للقاء بين الإنسان الحكيم والإله آنو، وبرهن في هذا اللقاء على أن الإنسان لا يصلح للخلود، مهما بلغ، لأنه يعصي أمر الإله ويستمع للنصائح الخاطئة، ومهما بلغ من الحكمة فهو يبقى ضعيفا ومصيره الموت" (الحوراني، 1978، صفحة 206).

" كلمته تأمر حقاً كما هي كلمة الإله آنو

كلله بالإدراك الواسع لتوضيح خطط البلاد

إليه أعطاه الحكمة، لم يُعطه الحياة الخالدة...

ماذا سنفعل له نحن؟

لنقدم له خبز الحياة ليأكل

قدموا له خبز الحياة فلم يأكل،

قُدموا له ماء الحياة فلم يشرب...

ما أنت مواصل الحياة، من أين للناس المعرفة؟

أيا، سيدي، قال لي: (لا تأكل، لا تشرب)

(تلقوه وأعيدوه إلى أرضه)" (حنون، 2015، الصفحات 270-275).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

استنادا الى ما تقدم يبقى الإنسان وفقا لهذا المفهوم إنساناً قاصراً على الدوام، لا يمكنه تحديد النافع من الضار بالنسبة إليه، وتبقى الأفضلية للآلهة لأنها هي التي تمتلك الحكمة، والقدرة على معرفة نهايات الأمور. أما الإنسان فهو عاجز ومخطئ لذا فهو أبعد ما يكون عن الحكمة التي اختصت بها الآلهة، وهي التي تمنّ بها على من تشاء وبالمقدار الذي ترتئيه. أما الإنسان فعليه أن يعترف بعجزه أمام قدرتها الخارقة.

" الإنسان أصم لا يعرف شيئاً

فأية معرفة هي معرفة الإنسان

إنه لا يعرف إن كان عمله خيراً أم شراً

فأين هو الإنسان الذي لم يرتكب إثماً؟

الإله هو الذي يوحي بما هو صالح وبما هو ضار" (Lambert, 1960, p. 16).

تُعد الآلهة مسؤولة عن حياة الإنسان، وهي التي ترسم له أدواره في هذه الحياة بما في ذلك الإنسان الذي يعاني مشاكل جسدية، فها هي الإلهة ننماخ تقوم بخلق إنسان غريب الشكل وآخر فيه عيب جسدي وآخر يعاني

مشـــاكل في جهازه البولي، وامرأة لا يمكنها الإنجاب. لكن الإله انكي (أيا) يقوم بمعالجة هذه المشـــاكل عبر تقرير مصـير خاص لكل واحد من هؤلاء، وإيجاد مكان له ضـمن المجتمع ليكون عنصـرا فاعلا في مجتمعه. فمن لم تكن لديه أعضـــاء تناســـلية يُعين في خدمة الملك، والمرأة العاقر تعمل وصـــيفة للملكة (جاكبســـون، 1960، صـــفحة 191). وهكذا عمل على دمج هؤلاء في المنظومة الاجتماعية، ومحاولة التقليل من معاناتهم الإنسانية.

عندما بدأ إنســـان منطقة الشـــرق المتوســـطي، ومنها العراق، بالاســـتقرار كان من أولى المجتمعات التي مارسـت سـلوكا أخلاقيا يعتمد النوازع الطبعية للإنسـان. وصـار يبحث عن طرق غير عدائية لتملك ما يتملكه الآخرين، ومارس سـلوكاً أخلاقياً يضـمن اسـتمرارية مجتمعه الإنسـاني ومنجزه الحضـاري. وهذا السـلوك الأخلاقي جعله يعي أهمية مستقبله وما يمتلكه من ممتلكات شخصية وعيا إنسانيا، فاجتماع الإنسان وممارسته الزراعة، التي أمنت اسـتقراره المكاني، أبعداه عن حياة التوحش، ومنحاه الفرصـة لممارسـة مشـاعر الغيريّة فيه لتتســع تجربته الأخلاقية، وحوَّلا قلقه الطبعي بســبب ظروف حياته الســابقة إلى أمور جديدة تتفق وحياة الاســـتقرار التي يعيشـــها، ومنها اعتناقه للمعتقد الديني وممارســـته للفن، وكلاهما يدلّان على الاســـتقرار الاجتماعي الذي يقوم دليلا على إنسـانية الإنسـان (الحوراني، 1978، صـفحة 33). وتدريجيا تطورت أفكاره عن شتى مناحي الحياة ومنها الموضوع الإنساني.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

حثَّ الفكر العراقي القديم وتوكيداً لإنســـانية الإنســـان، المحكوم عليه بالموت في نهاية المطاف، على اســـتغلال حياته الدنيا أفضـــل اســـتغلال، وأن يتمتع بملذاتها قبل أن يدركه الموت لأنّ أيامه معدودة في هذه الحياة، فالبهجة والمرح والتمتع بما متاح فيها، وفقاً للضـــوابط الاجتماعية، إنما هو القاعدة التي يُفترض أن تسير عليها البشرية، وعلى الإنسـان أن لا يجري خلف فكرة مستحيلة التحقق، ألا وهي الخلود، وترك حياته بتفاصـيلها بل عليه أن يغتنم فرصـته في الحياة بالشـكل الأمثل، وهذا ما أكدته صـاحبة الحانة في حديثها مع كلكامش.

زخرت الكتابات العراقية القديمة بكل ما هو أخلاقي، وفي هذا الصـــدد يقول الاســـتاذ كريمر: "يؤخذ مما كتبوه ودونوه، بحب الخير والصـدق، والقانون والنظام، والعدالة والحرية، والصـلاح والاسـتقامة، والرحمة والرأفة. كما كانوا يمقتون الشـــر والكذب والزور وعصـــيان القانون، والإخلال بالنظام والظلم والاضـــطهاد وارتكاب المعاصـي والضـلال والصـرامة وتحجر القلب" (كريمر، 1957، صـفحة 192). وجميع الفضـائل التي تؤكد انســانية الإنســان، وهذه النظرة الإنســانية لا تقتصـــر على مجتمعهم فقط بل تمتد لتشـــمل المجتمع الإنســـاني بأكمله (كريمر، 1973، صـــفحة 380). وبعيدا عن مدى التطبيق العملي، لبعض مما ورد في تلك الكتابات كالعدالة والحرية على الأقل، إلاّ أن تلك الأفكار لم تكن غائبة عن ذهن العراقي القديم، لذا نجدها

حاضـــرة في كتاباته. وليس أدل على أهمية المفاهيم الإنســـانية بالنســـبة للعراقي القديم من أنها وردت كقواعد وأحكام أو ما يسمى بـــــ (مي ME) في اللغة السومرية (كريمر، 1973، الصفحات 153-154). فهي إذن قواعد وأحكام يجب أن يسير عليها الإنسان وليس محل اجتهاد، خصوصا إذا ما علمنا أن العراقي القديم أوجد نظام مراقبة على نفســـه يتمثل ببعض الآلهة التي تراقب تصـــرفاته وتدفعه نحو القيام بالأعمال الصـــالحة والابتعاد عن الأعمال غير الصالحة (جواد، 1999، صفحة 188). ويقف الإله شمش على رأس تلك الآلهة. ومن المؤشـرات الهامة على نبذ الفكر العراقي للمفاهيم غير الإنسـانية تصـويره للمشـاعر الإنسـانية من ألم وحزن ونقمة على المجتمع، التي يشعر بها الإنسان المضطهد حين يرى التصرفات اللاإنسانية لأبناء مجتمعه والتي تناقض الفضـــائل الأخلاقية التي يفترض أن تكون ســـمة المجتمع الإنســـاني. فكلام القوي ممجد على ألسنتهم وان كان مخطئا، أما كلام الضعيف الصالح فلا أحد يعيره اهتماما. والشرير كُثرٌ أتباعه ومريدوه على عكس الإنسان الشريف. والظالم تملأ مخازنه بالذهب في حين أن الشحاذ يُسرق طعامه (قاشا، 2010، صفحة 147).

أكد الفكر العراقي القديم على حفظ الكرامة الانســـانية عبر توفير الغذاء لبني البشـــر، فهو مطلب لا يمكن الإسـتغناء عنه، ولذلك عمل الإلهان انليل وانكي على إسـباغ النعم على الأرض ليتمتع بها الإنسـان من خلال خلق إلهة الغلة (اشنان) والماشية (لاخار) اللتان عملتا على أن ينعم الغني والفقير بمتطلبات العيش الكريم.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

" ومن أجل الجموع الغفيرة، حققنا الكثرة،

وجلبتا إلى البلاد الحياة،

محققتين (العجائب) الخارقة

وكثرتا على هذا الشكل- احتياطات التخزين!...

وحتى إلى بيت الفقير الممتلئ بالغبار

دخلتا، جالبتين إليه الفرح!

أينما وجدتا، إنهما تُشبعان! أينما وجدتا إنهما تجزلان العطاء" (الشواف، 1996، الصفحات 80-81)

وفي الحقيقة أن توفير الغذاء للإنسان واجب من واجبات السلطة السياسية فرضته الآلهة عليها، ومن هنا نجد الاهتمام الكبير من قبل الملوك بموضـــوع الخصـــب والرخاء لما له من أهمية في اقتصـــاد الدولة. ويبين لنا المقطع الآتي من انشودة موجهة للملك شولكي (2094-2047 ق.م) هذا الاهتمام.

" يجعل سومر تسير على الطريق الصحيح

ولكي ينعم الشعب بالتمتع بظله

ولكي يقدم للشعب بكثرة، الطعام والشراب" (الشواف، 1996، صفحة 153).

وبعيدا عن واجبات السلطة السياسية عرف المجتمع العراقي القديم ممارسات انسانية هدفها التخفيف من المعاناة الانسانية لبعض من أفراده، ففي النص المعروف بإسم (التقي المعذب/ العدل الإلهي)، وعلى الرغم من أن المقطع الذي نورده هنا جاء في سياق إستهجان بعض التصرفات (تصرفات الأخ الأصغر)، لكنه يوضح حقيقة أن بعض الأغنياء كانوا يتكفلون بإطعام الفقراء والمشردين.

" وريث يطوف الشوارع في كل اتجاه مثل عتال،

وأخوه الأصغر يقيم مائدة مفتوحة للفقراء!" (لابات، 1988، صفحة 288).

ومن المفاهيم الانسانية التي أولاها الفكر العراقي القديم اهتمامه موضوع السلام، على الرغم من التاريخ الحافل بالحروب والصراعات، وأن يعيش الإنسان بسعادة وأن ينعم بالصحة ليزداد نسله، وكل هذه الفعاليات تتم تحت ظل الملك المرتبط بالآلهة.

" الموجَّه من قبل الآلهة

و ملكيته يجب أن تحقق سعادة البشر

و هو الراعي الذي يتكاثر ويتضاعف السكان تحت أنظاره

و تعيش بسلام البلاد بكاملها" (الشواف، 1996، صفحة 153). وتبرز أهمية السلام والوحدة والألفة بين أبناء الجنس البشري من خلال حنين العراقي القديم إلى الزمن الذي سادت فيه هذه المفاهيم الإنسانية وانتفاء التمييز العنصري والديني لأن ذلك العصر الذهبي أعقبه زمن سادت فيه النزاعات والحروب الدفاعية والتوسعية التي ألقت بثقلها على كاهل الإنسان مسببة له المعاناة والألم.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

" وفي سالف العصور كانت بلاد شوبور وهمازي

وبلاد سومر الكثيرة الألسنة...

وبلاد أوري البلاد التي احتوت كل ما هو لائق

وبلاد مارتو كانت آمنة مطمئنة

وجميع الكون والناس في وحدة وإلفة

حيث كان الجميع يمجدون الإله (انليل) بلسان واحد" (كريمر، 1957، الصفحات 279-280).

ويرد في نصٍ آخر رغبة العراقي القديم في رؤية مجتمعه ينعم بالأمن والطمأنينة بعيدا عن الصراع الذي يمزق المجتمع، ويشتت جهود أبنائه. مجتمع لا يتعدى فيه شخص على آخر، وهذا المجتمع النموذجي الذي يطمح إليه العراقي القديم لا يتحقق إلّا بعد القضاء على مصادر الشر التي تثير العداوة والبغضاء وكل ما يسبب الضرر للمجتمع.

" يوم يبطل فيه إلى الأبد (الصراع) بين

الضعيف والقوي ويسود فيه لطف الوداعة،

اليوم الذي يمكن فيه السفر بأمان (على أية) طريق؟

بعد أن تكون قد أقتلعت منها نبتات السوء" (الشواف، 1997، صفحة 376). وقد أكدت مقدمات قوانين اورنمو (2112-2095 ق.م) ولبت- عشتار (1934-1924 ق.م) وحمورابي (1792-1750 ق.م) الحرص على أمن المجتمع، وعلى ازالة العداوة والبغضاء.

وإذا كان العراقي القديم قد اهتم بموضوع السلام فقد استنكر النزعة التدميرية وإنزال العقوبات الجماعية ببني البشر، فعلى الرغم من وجود نصوص كثيرة تتحدث عن العنف والتدمير نجد هناك نصوصا تستنكر هذا الفعل بإعتباره جرما ضد الإنسانية، فقد رفض الإله أيا إحداث الطوفان وإفناء البشرية بل وأسهم إسهاماً مباشراً في انقاذها من الفناء بخططه التي نفذها اتراخاسيس. وعندما انتهى الطوفان نجد بعض الآلهة تندم على المساهمة في اتخاذ قرار إحداثه، ولوم الإله انليل على فعلته بإحداث الطوفان (علي، 1975، صفحة 88). وقبل ذلك أنقذ أيا البشرية من وباء الطاعون مرة، ومن المجاعة مرة ثانية (لابات، 1988، الصفحات 25-28). كما وأنقذ البشرية، بل وسائر المخلوقات، من الفناء عندما توقفت فعاليات الكون، وأصبح بقاء البشر والحيوانات عرضة للخطر بسبب نزول اننّا (عشتار) إلهة الحب إلى العالم الأسفل، وأسرها من قبل اختها ارشكيكال إلهة العالم الأسفل فما كان من الإله أيا إلّا أن قام بخلق كائن بشري غير محدد الجنس لتُفتن به ارشكيكال وتُحرر عشتار من أسرها لتعود الحياة لطبيعتها (بوتيرو، 1990، صفحة 300). وفي ملحمة ايرا يقوم ايشوم مستشار الإله ايرا بتهدئة غضبه لأنه قرر تدمير مدينة بابل وباشر في ذلك، وينجح في النهاية بإيقاف ايرا عن التمادي في فعلته. (الأسود، 2005، صفحة 119). مما تقدم نستنتج أن الفكر العراقي القديم قد استنكر النزعة التدميرية التي اتصف بها البعض ومارسها بالفعل. وبموجب مبدأ التشبيه الذي جعل الإنسان العراقي القديم آلهته شبيهة بالإنسان، إلّا من ناحية القدرة والخلود، واستناداً إلى ما ذكرناه آنفاً، نتبين أن العراقي القديم حرص على إنقاذ البشرية في كل مرة عن طريق بطل منقذ سواء كان المنقذ إلهاً أو إنساناً، حرصاً منه على ديمومة الحياة.

أكد الفكر العراقي القديم على أن السلطة الممنوحة للحاكم من الآلهة يجب أن لا تستغل لتكون أداة للقمع تستخدم ضد المحكومين، بل يجب أن تُستخدم لتقديم ما فيه الخير؛ وبما يحفظ إنسانيتهم وكرامتهم، وأن يُعاملوا بالعدل والإنصاف.

" لقد وُهبت سلطاناً على الشعب لا مثيل له...

ولكن لا تسئ استعمال سلطتك.

اصنع العدل مع خدمك في القصر

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أقم العدالة أمام وجه شمش" (قاشا، 2010، صفحة 92).

لذلك عندما استبد كلكامش بسلطته، وسلك طريق الظلم والطغيان ضد شعبه؛ لأنه لم يجد من يقف بوجه طغيانه واستبداده، لقوته وضعف المحكومين، تدخلت الآلهة بخلق انكيدو ليكون نداً له يقف بوجه ممارساته الاستبدادية، لأنه خالف الإرادة الإلهية التي تأمر بضرورة إقامة العدل.

وفعل الخير لا يقتصر على السلطة السياسية بل على الجميع أن يتحلى بالصفات الإنسانية، وأن يداوم فعل الخير ويرعى الضعفاء والمنكوبين ويعطف عليهم.

" كن رحيما مع الضعفاء

ولا تهن منكسري القلوب

ليكن رائدك الخير والخدمة كل ايامك...

عامل عدوك بعدل" (قاشا، 2010، صفحة 257).

تُعد العدالة من أهم المفاهيم الإنسانية، وقد كان لها حضورا كبيرا في الفكر العراقي القديم، لذلك نجد ملوك العراق القديم يتمسكون، وفقا لكتاباتهم، بالحرص على إقامة العدل بإعتباره مطلباً إلهياً. وهذا ما نجده في مقدمات وخواتيم القوانين العراقية فضلا عن الكتابات الأدبية والتاريخية. فقد جاء في نشيد يُمجَد فيه الملك لبت-عشتار بمناسبة تنصيبه من قبل مجلس الآلهة برئاسة الإله آنو: " إن (آنو) كان قد منح بموجب لوائح سامية، الورع (لبت- عشتار) الملوكية العظمى: ليكن (لبت- عشتار) الذي منحته القوة، الراعي الحي.. وسوف يقيم العدالة في سومر وأكد وسيكون البلد مزدهرا" (الطعان، 1981، صفحة 535). ومع اننا لا نعرف على وجه الدقة إلى أيّ مدى طُبقت العدالة بالشكل المناسب، وعلى قول توملين: " قد يكون هناك جدل حول أن التجربة لا تتماشى دائما مع النظرية" (توملين، 1994، صفحة 98)، إلّا أن كثرة الكتابات عن أهمية تحقيق العدالة تدل على أنها أخذت حيزاً كبيراً من تفكير القوم.

وكان للقانون حضوراً بارزاً في حياة العراقي القديم لأنه علامة من علامات الإنسان المتحضر، فهو الذي ينظم العلاقات التعاقدية بين الناس، وتعاملاتهم في شؤون الحياة المختلفة تعاملا حضاريا، ويضمن لهم المحافظة على حقوقهم و ممتلكاتهم، وبواسطته تتم معاقبة الإنسان الذي لا يحترم القانون، ويتجاوز الحدود المرسومة له بالإعتداء على حقوق الآخرين. ولذلك نجد مقدمات القوانين العراقية القديمة تؤكد أهمية القانون في تحقيق العدالة. ونقتبس النص الآتي من مقدمة قانون حمورابي توكيداً لما ذكرناه:

" آنذاك أسمياني (الإلهآن) آنو وانليل بإسمي،

حمورابي، الأمير التقي الذي يخشى آلهته،

لأوطد العدل في البلاد،

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

لأقضي على الخبيث والشر،
لكي لا يستعبد القوي الضعيف
ولكي يعلو (العدل) كالشمس فوق ذي الرؤوس السود
ولكي ينير البلاد
من أجل خير البشر" (رشيد، 1979، صفحة 113).

فالقوانين التي شرعها ملوك العراق القديم بوحي من الآلهة هدفها خير الإنسان، وإحقاق الحقوق ورعاية الفضائل الإنسانية والمحافظة عليها، والوقوف بوجه كل ما يعكر صفو المجتمع، ولكي لا يستعبد القوي الضعيف وتكون كلمته النافذة، فيفرض إرادته على الضعفاء الذين لا يقوون على مواجهته. وسنكتفي هنا بإعطاء بعض الأمثلة عن أهمية الحفاظ على حياة الإنسان الذي شُرعت تلك القوانين من أجل ضمان حقوقه. فيرد في المادة (209) من قانون حمورابي " إذا ضرب رجل بنت رجل وسبب لها إسقاط ما في جوفها (جنينها) فعليه أن يدفع عشرة شيقلات من الفضة لإسقاط ما في جوفها" (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 156)، أما اذا أدى الاعتداء إلى الوفاة فتكون العقوبة أشد كما في نص المادة (201) من نفس القانون " إذا توفيت تلك المرأة (أي بنت الرجل)، فيجب أن تقتل بنته" (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 156). وفي المادة (51) من القوانين الآشورية الوسيطة يرد: " إذا ضرب رجل زوجة رجل لم تربي أطفالا بعد وتسبب في إسقاط ما في جوفها، مقابل هذا الجرم عليه أن يدفع 2 طالنت من الرصاص" (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 199). أما المادة (53) من القانون نفسه فتقضي بقتل المرأة التي تُسقط جنينها عمداً بعد أن تثبت التهمة عليها (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 199).

تُعتبر المساواة من المفاهيم الإنسانية الهامة، وترتبط ارتباطاً وثيقا بالعدالة. وقد بين لنا الفكر العراقي القديم أمنيات الإنسان العراقي القديم في قيام مجتمع خالي من الجشع والاستغلال، مجتمع تسوده المساواة ؛ يتساوى فيه الغني والفقير وتسود فيه الأخوة الإنسانية بعيدا عن الجشع واستغلال الانسان لأخيه الإنسان .

" اليوم الذي يبطل فيه إلى الأبد استغلال الإنسان
للإنسان ويهاب الابن أباه،
يوم يسود التواضع الأرض كلها
ويكرم الغني الفقير" (الشواف، 1997، صفحة 376).

ويبدو أن الفكر العراقي القديم كان واعياً لحقيقة صعوبة تحقيق المجتمع المثالي الذي تمناه، المجتمع الخالي من البغضاء والتنافس؛ فنوازع الإنسان وأنانيته تدفعانه، في أغلب الأحيان، لتحقيق مصالحه الشخصية

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

دون الإلتفات إلى ما يصيب الغير من الضرر، وقد ألقى ذلك الفكر بتبعية النوازع الإنسانية غير الجيدة على عاتق الآلهة لأنها هي التي جعلته على هذه الشاكلة.

" إن (نارو) ملك الآلهة الذي خلق البشر.

وصاحب العظمة (زولومار) الذي استخرج طينتهم.

والسيدة (مامي Mame) الملكة التي صورتهم.

جعلوا قول الزور من نصيب البشرية.

لقد منحوهم وإلى الأبد الكذب دون الصدق.

فهم يتحدثون بالإجلال دائما عن الثري...

لكنهم يؤذون الفقير وكأنه لص.

إنهم يفترون عليه ويتآمرون لقتله.

ويجعلونه يقاسي صنوف العذاب كما لوكان مجرماً.

لأنه لا يوجد من يحميه" (الجبوري، 2000، صفحة 198).

لم يكن الإنسان، وفقا للفكر العراقي القديم، القيمة الأولى بل يأتي بعد الآلهة في المرتبة، وهو ظل للإله يعيش تحت كنفه، لأنه أعجز من أن تكون لديه القدرة على مواجهة شؤون حياته بعيدا عن العناية الإلهية. ولم تكن نظرة العراقي القديم لبني البشر نظرة متساوية، فإذا كان الإنسان ظل للإله، فالعبد إنما هو ظل للإنسان الحر.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

" الرجل ظل الإله، والعبد ظلّ الرجل الحر" (الشواف، قاسم، 1999، صفحة 352).

ولا تخفى النظرة غير الإنسانية في هذا القول؛ فهو يميز بين الناس وفقا لمرتبتهم الاجتماعية. وهذا ما نجده أكثر وضوحا في بعض مواد القوانين العراقية القديمة، فالعقوبة الجسدية والمادية المسلطة على مرتكب نفس الجريمة لم تكن واحدة بل تختلف حسب المنزلة الاجتماعية، فالعقوبة المسلطة على العبد لم تكن نفسها بالنسبة للسيد، فقد جاء في المادة 196 من قانون حمورابي" إذا فقأ رجل عين رجل (آخر)، فعليهم أن يفقأوا عينه" (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 155). فالعقوبة التي تطبق على العبد الذي يعتدي على السيد تكون وفقاً لمبدأ القصاص في حين أن السيد الذي يتسبب بعاهة للعبد تكون عقوبته وفقا لمبدأ التعويض كما في المادة 198 من قانون حمورابي " إذا فقأ (رجل) عين مولى أو كسر عظم مولى، فعليه أن يدفع منا واحدا من الفضة" (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 155). الأمر الجدير بالإشارة هو أن رغم هذا التمييز في العقوبة لكن العبد كان له الحق بالقصاص من السيد المذنب، وهذا يعني أن العراقي القديم أقر بإنسانية العبد ولم يعتبره مجرد شيء من الأشياء، لكنه نظر إليه على أنه ذو منزلة أدنى من منزلة

السيد. و في الحقيقة أن العراقي القديم كان يدرك أن السيد والعبد متساويان ولكن التسلط والمنفعة هما اللذان جعلا البعض يميزون أنفسهم عن الآخرين، وليس أدل على معرفة العراقي القديم بتساوي السيد والعبد من حيث الطبيعة البشرية اعترافهم بتساويهما عند الموت، وانتهاء المصالح الدنيوية التي ميزت السيد عن العبد " والعبد كالسيّد، عندما ينتهي الأجل يتساويان" (قاشا، 2010، صفحة 78).

و لكن هذا التمييز لا يقوم بين أبناء الطبقة الاجتماعية الواحدة وان كانوا مختلفين من ناحية العرق، فهذا لبت – عشتار يكتب في مقدمة قانونه:

" وعندما دعيا الإلهان آنو وانليل ((لبت- عشتار)) الراعي الحكيم،

المنادى من قبل الإله (نو- نام- نر) لإمارة البلاد وتحقيق العدالة فيها...

ولتحقيق الرفاهية للسومريين والأكديين" (رشيد، 1979، صفحة 58). ومما يؤكد أن التمييز لم يكن على أساس عرقي أن السومريين كانوا ينعتون الأموريين بنعوت مسيئة موجهة لحضارتهم ولا علاقة لذلك بأصلهم العرقي (كريمر، 1973، صفحة 414).

وقد تناولت الأمثال العراقية القديمة موضوع عدم المساواة بين الغني والفقير من خلال تصويرها معاناة الفقير، فهو مثقل بالهموم، وقد فقد قوته بسبب ذلك حتى لا يكاد يقوى على المشي بالشكل المناسب " الفقير ليست له قوة"، " الفقير يتعثَّرُ بذياله"، " الفقير قلقٌ على ما أستدان"، " الفقير قلقٌ على ما سيأكل" (الفؤادي، 1973، الصفحات 98-99). لكن في الجانب الفكري نجد أن انصاف الفقراء لم يغب عن ذهنية العراقي القديم؛ فالإلهة نانشة كانت تنشد العدالة لأفقر الفقراء (كريمر، 1957، صفحة 195). والإله شمش يرفع المهان ويحمي الضعيف، والإلهة عشتار تحنو على التعساء وتنصف المظلومين (قاشا، 2010، الصفحات 327-329). وكل هذا يدل على بغض المفكر العراقي القديم للظلم وعدم المساواة وكل ما يحط من كرامة الإنسان. وتتضح لنا أهمية المساواة من خلال بعض مواد القوانين العراقية القديمة التي حاولت معالجة هذا الموضوع بالطرق القانونية. فعلى سبيل المثال نصت المادة (24) من قانون لبت- عشتار على أن أبناء الزوجة الأولى وأبناء الزوجة الثانية يتقاسمون أموال أبيهم بالتساوي (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 62). وهذا ما أكدته المادة (167) من قانون حمورابي (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 148).

وفي المحصلة يمكن القول أن المساواة في المعاملة قد نجدها بين أفراد الطبقة الواحدة، أما المساواة بين جميع أفراد المجتمع فلم تكن هي السائدة، فالظلم والاستغلال والتمايز الاجتماعي والاقتصادي كان موجوداً ويتفاقم عندما يجد المناخ المناسب مما يستوجب التدخل لإعادة الأمور إلى حالة أفضل. فغياب العدالة الاجتماعية والاقتصادية كان يتطلب حركة تصحيحية، وربما الأصح حركة انعاش، لأنها لم تمتلك فعل

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الاستمرارية، تعيد الأمل للمُستَغلين حتى لا يصل الوضع إلى مرحلة الانفجار. وهذا ما فعله اوروانمكينا من خلال اصلاحاته أو غيره من ملوك العراق القديم الذين وصلتنا تشريعاتهم.

فإصلاحات اوروانمكينا التي يقول الاستاذ كريمر بخصوصها: " إن هذه الوثيقة تسجل اصلاحات شاملة لمجموعة كاملة من المظالم السائدة التي يمكن إرجاع أغلبها إلى بيروقراطية بغيضة، موجودة في كل زمان ومكان، مؤلفة من الحاكم وحاشيته، وتعطينا هذه الوثيقة، في نفس الوقت، صورة كئيبة ومشؤمة لقسوة الإنسان على الإنسان في كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية" (كريمر، 1973، صفحة 106). تلك الإصلاحات أزال بموجبها الظلم والاستبداد واستغلال النفوذ الذي مارسه أغنياء لكش على فقرائهم، محاولة منه لتحقيق قدر من المساواة والعدل الاجتماعي لأهالي لكش لتوفير الظروف المناسبة لحياة إنسانية أفضل، لم تدم طويلا في الحقيقة (تيومينيف، 1986، صفحة 115)، فقد عاد التمايز الاجتماعي إلى مجتمع مدينة لكش، واستمر فيها وفي غيرها من المدن السومرية.

نتبين من خلال الكتابات العراقية القديمة الاهتمام بموضوع حرية الإنسان. وقد وردت كلمة الحرية اماركي AMARGI لأول مرة في اصلاحات الملك اوروانمكينا (كريمر، 1973، صفحة 107). ومما يؤكد أهمية الحرية أن ملوك العراق القديم الذين قاموا بتشريع القوانين قد أكدوا على أنهم منحوا الحرية لشعوبهم، فقد ذكر اورنمو في مقدمة قانونه على أنه "وطد الحرية الكاملة في بلاد سومر وأكد" (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 27). وذكر لبت- عشتار في مقدمة قانونه: "آنذاك (عندما) فرضت العبودية ظلماً على رقاب أولاد وبنات (= سكان) مدينة نفر وأولاد وبنات مدينة اور وأولاد وبنات مدينة ايسن وأولاد وبنات سومر وأكد، أعطيتهم راغباً حريتهم كهدية لهم" (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 58). ومن أسباب تشريع حمورابي لقانونه لكي لا يستعبد القوي الضعيف (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 113). وفي الحقيقة مع كل هذا التأكيد على الحرية غير أننا لا يمكن أن نؤكد وجود حرية بالمعنى المتعارف عليه اليوم؛ فالتمايز الاجتماعي هو السمة التي حكمت المجتمع العراقي القديم. وفي هذا الصدد يرى دولابورت في معرض حديثه عن اصلاحات اوروانمكينا بأن تلك الاصلاحات مكنت كل شخص أن يستمتع بالحرية حسب مركزه (ديلابورت، 1997، صفحة 32). بمعنى آخر أنها مورست ضمن ضوابط معينة. وليس أدل على أن حرية الإنسان العراقي القديم كانت منقوصة نظام السخرة الذي كان يُفرض على طائفة كبيرة من الناس. إذ قامت السلطة السياسية بفرضها على فقراء الأحرار فضلا عن العبيد، فقد تحدثت الكتابات الملكية عن رفع أعمال السخرة عن بعض من فُرضت عليه ليقوم ذلك دليلاً على ممارستها، فقد رفع الملك الكشي ميلي-شباك Mili-Šbak (1188-1174 ق.م) السخرة عن المقاطعة التي أقطعها لإبنه (مردوخ-ابلا-ادينا) " لا تؤخذ ضريبة على باكورة ثمار أرضه ولا العشور ولا يستدعى رجال إقطاعيته ضمن الفرق التي

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تشكل في مدن ناحية نينا-أكاده Nina- agade للسخرة أو العمل أو للتوقي من الفيضان أو لصيانة وتدعيم الجسور للقنوات الملكية... وهم ليسوا ملزمين بأن يُسخروا للعمل في سد القناة الملكية ولإقامة الجسور ولإغلاق أو تطهير قاع القناة" (ديلابورت، 1997، صفحة 109).

وفي المجال الديني نستطيع من خلال كتابات ملوك العراق القديم القول: أن السلطة السياسية على الأقل كانت متسامحة في مجال العبادة، وأنها لم تفرض عبادة إله معين على الرغم من أفضلية الآلهة القومية، وإعلاء شأنها مقارنة بالآلهة الأخرى.

إن تأكيد الكثير من ملوك العراق القديم على أن الآلهة هي التي أعطتهم حكم المناطق التي سيطروا عليها بقوة السلاح إنما الهدف منه تقبل أبناء المناطق المفتوحة لسيطرتهم، لكنه بالمقابل يقوم دليلاً على نوع من التسامح الديني خصوصاً إذا ما علمنا بأنهم أصحاب السطوة والقوة، والمتحكمين في سياسة المناطق المفتوحة. فالملك سرجون الأكدي (2371-2316 ق.م) يقدم الصلاة للإله داكان في مدينة توتول (هيت الحالية) لكي يمنحه السيطرة على مدن المنطقة العليا (ماري ويارموتي وابلا) (Oppenheim, 1969, pp. 99-100). وعدد الملك حمورابي في مقدمة شريعته آلهة المدن التي يؤمن بها ويقدم لها فروض الطاعة والاحترام، والتي شملت آلهة مدن متعددة . أما سرجون الثاني الآشوري (721-705 ق.م) فيذكر أن الإله مردوخ إله مدينة بابل هو الذي جعله الأكثر شموخاً بين الأمراء، وهو الذي أعطاه حكم بابل "الإله مردوخ، السيد العظيم... أنا سرجون الملك المتواضع اصطفاني ورفع رأسي عالياً من بين جميع الأمراء"، بل ويصف مردوخ على أنه" سيد الآلهة" (Luckenbill, 1975, p. 14).

من أفعال الخير المهمة التي تؤشر بعداً إنسانياً يدل على الإيثار وعدم تفضيل الإنسان لنفسه على الآخرين ما ورد في ملحمة كلكامش، فمع كل العناء والسفر الطويل، وفراق الأهل والأحبة بحثاً عن الخلود، وبعد أن حصل على نبتة الخلود لم يتناولها مباشرة بل أراد أن يأخذها إلى مدينته الوركاء ليتشاركها مع أبناء مدينته لتعم الفائدة على الجميع (جواد، 1999، الصفحات 77-78). وبالنتيجة خسر الخلود بسبب رغبته أن يشارك رعيته الخلود لأن الحية هي التي تمكنت من تناولها في آخر المطاف.

وإذا كان الفكر العراقي القديم قد أكد على ضرورة فعل الخير ووجوب التمسك به كمنهج حياة نجده يقف بوجه التصرفات الشريرة لأنها لا تبني المجتمعات بل على العكس من ذلك فلن تأتي إلا بالمشاكل والعداوة والبغضاء. لذا نجد النصوص العراقية القديمة تحث على التجاوز عن المسيء وعدم مقابلة الشر بالشر، وأن لا يسلك طريق العنف. فنقرأ في النص الذي ينصح فيه أحد الحكماء تلميذه:

" من يُعاشر الأشرار(؟) يُنظر إليه بإزدراء

وتسوء سمعته (في أفواه) ذويه...

إذا كانت المشاجرة تتعلق بك أطفئ

نارها قبل أن تتفاقم...

لا تعامل بسوء من يسعى لمخاصمتك.

بادل بعمل الخير، من أساء إليك.

إبقَ عادلاً تجاه من عاملك بشر،

و لتكن روحك هادئة تجاه عدوك" (الشواف، قاسم، 1999، الصفحات 355-357).

يعتبر حب التملك والخداع فعلا بغيضا يخالف ما يجب أن يكون عليه الإنسان، لذا فإن نبذ هذه الصفات يؤشر إلى إرتقاء الإنسان، وترفعه عن كل ما يحط من شأنه ويقلل من قيمته الإنسانية. وقد سردت لنا ملحمة كلكامش كيف إن الإلهة عشتار حاولت أن تغري كلكامش بعد أن قام هو وانكيدو بقتل الوحش خمبابا وعودتهما من غابات الأرز، واغتسال كلكامش وارتدائه ملابس جديدة، فأعجبت به عشتار وطلبت منه الزواج إلّا ان كلكامش رفض ذلك، لأنها ليست الزوجة التي تصون زوجها، وعدد لها أزواجها الذين تزوجتهم على فترات تحقيقا لرغباتها، وكان مصير كل واحد منهم مأساوياً . وهذا الرفض من كلكامش لطلب عشتار لمعرفته بتصرفاتها المخادعة التي أفرزت نتائج مأساوية على أزواجها السابقين " فأيّ من عشاقك دام إلى الأبد؟، وأيّ من أحبائك المقتدرين صعد إلى العلياء" (علي، 2000، صفحة 207)، وهذا يبين لنا أن العراقي القديم كان يستهجن تلك التصرفات اللاإنسانية التي تسبب الأذى لأفراد المجتمع وتضر بقيمه.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وفي مجال المحافظة على قيم المجتمع نجد أن المشرع قد شدد العقوبة على الجاني مما لا مجال لذكره هنا، وسنكتفي بمثال واحد من القانون الآشوري الوسيط الذي يرد في مادته التاسعة " إذا مد رجل يده إلى امرأة متزوجة بغية مداعبتها، وأتهم (بذلك) وأثبتت التهمة عليه، يقطع أصبع من أصابعه. وإذا قبّلَ تلك المرأة فسوف تمرر حافة الفأس على شفته السفلى حتى تقطعها" (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 186). وهذا الحرص على قيم المجتمع وعلى كرامة الآخرين الذي توضحه القوانين العراقية القديمة له بعد إلهي، فقد حرصت الآلهة على القيم الاجتماعية فنقرأ في ترتيلة تمجد الإله انليل.

" انليل الذي تصدر أوامره من بعيد...

والذي تُثير هيئته الخوف والاحترام في المدينة الكافر والشرير والظالم وال... والناكر

والمتغطرس، وناكث العهود، لا يطيق انليل أعمالهم...

إنه لا يترك فاسقاً أو شريراً يُفلت منه" (شمار، 1981، صفحة 267). وقد حرص العراقي القديم على التواصل مع الآلهة طالباً منها أن تُديم عليه الفضائل الإنسانية، وأن لا ينحدر إلى ما هو لا إنساني، ففي ابتهال موجه للإله مردوخ يرد:

" ايه مردوخ أيها الرب العظيم يا رب الرحمة،...

دع فمي خالياً إلّا من الحقيقة.

واجعل قلبي مليئاً بالأفكار الطيبة فقط.

والّا يُقال عني إلّا القول الحسن" (شمار، 1981، صفحة 266).

هناك من يرى بأن القانون الآشوري الوسيط جاوز ضرورة الاستخدام الاجتماعي، وقسى كثيراً على الكرامة الشخصية للإنسان، لكنه يعلل ذلك بأنهم (أي الآشوريين) ربما لم يكن لهم بُد من تطبيق العقوبات الصارمة ضد بعض الممارسات الجنسية التي لا تتطابق وقيم المجتمع (بوتيرو، 1970، الصفحات 114-115). بمعنى آخر أن المحافظة على قيم الجماعة وتماسكها هو الذي اقتضى الصرامة في تطبيق العقوبة. وهذا التعامل مع مخالفة القيم، بالنسبة للأقوام الجزرية، الذي يُغضب الآلهة باعتباره إثماً وخطيئة يستوجب العقوبة الإلهية، توصلوا من خلاله إلى معنى المسؤولية الخاصة بالقضاء واستفادوا منها في تثبيت سنة أو شريعة تعالج الإثم والخطيئة وتكون منسجمة مع العدالة الإنسانية (بوتيرو، 1970، الصفحات 118-119). فالقسوة في تطبيق العقوبة جاء للحد من النزعة اللاإنسانية الموجهة ضد المجتمع. إذ من المفترض أن يسمو الإنسان بنفسه لا أن يهوي بها إلى مستوى النزعات الحيوانية.

من المفاهيم الإنسانية التي تناولها الفكر العراقي القديم هو ضرورة اهتمام الإنسان بنفسه وبمن يحيطون به بل وبكل بني جنسه، لأن الآلهة لا يشمل عطفها وبركتها إلّا أولئك الذين يتعاملون تعاملاً إنسانيا مع الجميع.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

" أظهر العطف للضعفاء

لا تهن المساكين

قم بالأعمال الصالحة، وقدم العون كل أيامك" (رو، 1984، صفحة 144).

ولعل أفضل مثال نسوقه هنا عن الاهتمام بالمحيط العائلي، وتنشئتهم على الفضائل الإنسانية لتكون النتيجة لصالح المجتمع الإنساني، النص الذي أطلق عليه الاستاذ كريمر تسمية (كاتب وإبنه الضال)، وهذا النص من أولى النصوص في تاريخ البشرية التي استخدمت فيها كلمة (إنسانية) باللغة السومرية (نام- لولو (NAM-LULU، التي لا تدل على البشر فقط بل على التصرف والسلوك الذي يليق بالجنس البشري (كريمر، 1973، صفحة 347). وفي هذا النص يطلب الأب من الإبن أن يذهب إلى المدرسة، وأن يتواضع أمام المشرف عليه في المدرسة، وأن يتعلم من تجارب المشرف، و العمل بجد والعودة إلى البيت وترك التسكع في الطرقات. ثم يشتكي الأب من سلوك إبنه اللاإنساني، ويأنبه تأنيباً شديدا بسبب سيره في طريق النجاح المادي بدلاً من السير في طريق المساعي الإنسانية (كريمر، 1973، الصفحات 347-348). ونقتبس المقاطع الآتية من النص زيادة في الإيضاح.

" أنت يامن تتســـكع في الميدان العام، هل تُريد ان تحقق النجاح؟ إذن فأقصـــد الأجيال الأولى. اذهب إلى المدرسة. إنها ستكون ذات نفع لك. يا بني إذهب إلى الأجيال الأولى واستفسر منها.

إن ما سأرويه لك بعد قليل يُحيل الأحمق إلى رجلٍ حكيم، يُمسك الحية كما لو كان يمسكها بفعل الرقى، وسوف يمنعك من تقبل العبارات الكاذبة...، ولأنك لا تنظر إلى إنســـانيتك، اختطفت قلبي كما لو اختطفته ريح شريرة...، إبني أقاسي العذاب بسببك الليل والنهار أنت ضائع في الملذات ليلاً ونهاراً. لقد جمعت كثيراً من المال، وتوسعت طولاً وعرضاً، لقد سمنت، وعرضت وقويت وانتفخت، إلا أن أقرباءك ينتظرون مصيرك السيء وسيفرحون بسوء مصيرك لأنك لم تنظر إلى إنسانيتك" (كريمر، 1973، الصفحات 349-351).

إن المعاملة اللطيفة وعدم الميل إلى الخشونة في التعامل، بما في ذلك اللفظ الساخر الذي يؤذي الآخرين، من المفاهيم الإنســـانية التي يجب أن تســـود بين أفراد المجتمع. وبالنســـبة للعراقي القديم فقد حكمت الطاعة والاحترام حياته، لذا عليه أن يُحجم عن السفاهة إزاء غيره، وأن يُكرم أباه، وأن يسمع كلام أمه، ويحترم أخاه الأكبر، ويسمع كلامه كما يسمع كلام أبيه، وعليه أن لا يُغضب أخته الكبرى، وينسحب ذلك على المجتمع والدولة (جاكبسون، 1960، الصفحات 239-240). ونقرأ في أحد نصوص الحكمة:

" عليك مراقبة ما يقوله فمك والسهر على مضمون خطابك،

ففي ذلك مقدرة الرجل وليكن قولك ذا قيمة أكيدة،

وليكن التجديف والنميمة مكروهَين لديك،

لا تتلفظ بسخريات ولا بآراء غير صادقة:

لأنه بازدراء يُنظر إلى صانع المشكلات!...

(لا تنتهر) قليل العقل، بل أشفق عليه

لا تزدر الذين هم عرضة لتجربة،

لا تتوجه إليهم بغطرسة" (الشواف، قاسم، 1999، الصفحات 356-357).

كما وأكدت المادة (14) و المادة (28) من قانون لبت- عشـتار على حسـن معاملة الآخرين فقد نصـت المادة (14) أن السـيد الذي يُسـيء معاملة عبده لمرتين، ويثبت عليه ذلك فعندها يُحرر ذلك العبد (رشـيد، الشـرائع العراقية القديمة، 1979، صـفحة 60). وجاء في المادة (28) إذا فقدت زوجة رجل بصـرها أو أصـيبت بالشـلل فلا يحق للرجل اخراجها من البيت، وإذا ما تزوج امرأة ثانية فعليها أن تقوم بمداراة الزوجة الأولى، ومعاملتها بالحسنى (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 64). في حين أن المادة السابعة والعشرون أكدت على ضرورة مراعاة مشاعر الآخرين؛ فالزوجة التي لم تلد أبناء لزوجها وتزوج من زانية

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وأنجبت له أبناء فلا يحق للزانية أن تعيش في بيت واحد مع الزوجة الأولى (رشيد، الشرائع العراقية القديمة، 1979، صفحة 64).

نتائج البحث

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- كان الاستقرار فضلا عن تحسن وضع الإنسان الاقتصادي من أهم الأسباب التي جعلت الإنسان يهتم بسلوكه الإنساني وفضائله، ومن الناحية الفكرية جعل العراقي القديم الآلهة المسؤولة عن ذلك.

2- اهتم العراقي القديم بالفضائل الإنسانية، وهذا ما عكسته النصوص التي خلفها لنا، ومرد ذلك أنه اعتبر تلك الفضائل مما ترتضيه آلهته.

3- مما يؤكد على أهمية المفاهيم الإنسانية بالنسبة للعراقي القديم أن جعلها من اختصاص الآلهة، وتحديداً الإله انكي (أيا).

4- في الوقت الذي نجد أن الفكر العراقي القديم أكد على مفاهيم انسانية غاية في الأهمية كالحرية والعدالة والمساواة غير أن الممارسات العملية لم تتطابق مع تلك الأفكار على الدوام.

5- نجد أن الفكر العراقي القديم يُبغض المفاهيم غير الإنسانية، لكنه جعل تلك المفاهيم ملازمة للإنسان منذ بداية خلقه، وأن الآلهة هي المسؤولة عن غرسها فيه، وقد أراد المفكر العراقي القديم من ذلك أن يجعل كل شيء من صنع الآلهة، أما الممارسة السلوكية فهي مسؤولية الإنسان نفسه الذي عليه أن يتجنب الشرور كي لا يقع في الخطيئة.

6- نظر الفكر العراقي القديم إلى الإنسان على أنه مخلوق يحتاج إلى النصح والإرشاد بما في ذلك الذين وصلوا إلى درجة عالية من الحكمة والفعل الإنساني الإيجابي.

المصادر والمراجع

أولا- المصادر والمراجع العربية والمعربة

1- الأسود، حكمت بشير، أدب الرثاء في بلاد الرافدين، دار الزمان للطباعة والنشر، (دمشق، 2008).

2- باقر، طه، ملحمة كلكامش، ط4، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1980).

3- بوتيرو، جان، الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، (بغداد، 1970).

4- تومليين، أ.ف، فلاسفة الشرق، ترجمة عبدالحميد سليم، ط3، دار المعارف، (القاهرة، 1994).

5- تيومينيف، " اقتصاد الدولة في سومر القديمة"، العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، ط2، دار الشؤون الثقافية، (بغداد،1986).

6- جاكبسون، ثوركيلد وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، دار مكتبة الحياة، (بغداد، 1960).

7- الجبوري، صلاح سلمان رميض، أدب الحكمة في وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 2000).

8- جواد، حسن فاضل، الأخلاق في الفكر العراقي القديم، منشورات بيت الحكمة، (بغداد، 1999).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

9- حنون، نائل، ملحمة جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة "موت جلجامش" والتحليل اللغوي للنص الأكدي، دار الخريف للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، 2006).

10- حنون، نائل، نصوص مسمارية تاريخية وأدبية، دار التنوير للطباعة والنشر، (بيروت، 2015).

11- الحوراني، يوسف، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، دار النهار للنشر، (بيروت، 1978).

12- ديلابورت، ل.، بلاد مابين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية، ترجمة محرم كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1997).

13- رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1979).

14- رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام،)بغداد، 1984).

15- شمار، جورج بوبيه، المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية، ترجمة سليم الصويص، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1981).

16- الشواف، قاسم، ديوان الاساطير، دار النهار للنشر، (بيروت، 1996)، ج1.

17- الشواف، قاسم، ديوان الاساطير، دار النهار للنشر، (بيروت، 1997)، ج2.

18-الشواف، قاسم، ديوان الاساطير، دار النهار للنشر، (بيروت، 1999)،ج3.

19- الطعان، عبدالرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للطباعة، (بغداد، 1981).

20- علي، فاضل عبدالواحد، الطوفان في المراجع المسمارية، (بغداد،1975).

21- علي، فاضل عبدالواحد، سومر اسطورة وملحمة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 2000).

22- الفؤادي، عبدالهادي، " بحث في الأمثال العراقية دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر"، سومر، مج29، ج1-2، مديرية الآثار العامة، (بغداد، 1973).

23- قاشا، سهيل، تاريخ الفكر في العراق القديم، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2010).

24- كريمر، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (بيروت، 1957).

25- لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة الاب البيرابونا و وليد الجادر، مطبعة جامعة بغداد، 1988).

المصادر العربية والمعربة باللغة الانكليزية

-1Ali, Fadhil Abdulwahid, The Flood in the Cuneiform References, (Baghdad, 1975.(

-2Ali, Fadhil Abdulwahid, Sumer Legend and Epic, 2nd Edition, House of General Cultural Affairs, (Baghdad, 2000.(

-3Al- Aswad, Hikmat Bashir, Lamentation Literature in Mesopotamia, Dar Al Zaman for Printing and Publishing, (Damascus, 2008.(

-4Al- Fuadi, Abdulhadi, "Research in Iraqi Proverbs, A Comparative Study of the Proverbs of the Ancient and Contemporary Iraqi Society", Sumer, Volume.29, Part 1-2, Directorate of General Antiquities, (Baghdad, 1973.(

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

-5Al- Hourani, Youssef, The Cultural Mental Structure in the Ancient Asian Mediterranean East, Dar Al-Nahar Publishing, (Beirut, 1978.(

-6Al-Jubouri, Salah Salman Rumayd, Literature of Wisdom in Mesopotamia, House of General Cultural Affairs, (Baghdad, 2000.(

27

-7Al- Shawaf, Qassem, Divan of Legends, Dar Al-Nahar Publishing, (Beirut, 1996), vol.1.

-8Al- Shawaf, Qassem, Divan of Legends, Dar Al-Nahar Publishing, (Beirut, 1997), vol.2.

-9Al- Shawaf, Qassem, Divan of Legends, Dar Al-Nahar Publishing, (Beirut, 1999), vol.3.

-10Al- Taan, Abdulredha, Political Thought in Ancient Iraq, Dar al-Rasheed for printing, (Baghdad, 1981.(

-11Baqir, Taha, The Gilgamesh Epic, 4rd Edition, Dar Al-Hurriya for printing, (Baghdad, 1980.(

-12Botero, Jean, Religion among the Babylonians, translated by Walid Al-Jader, (Baghdad, 1970.(

-13Delaporte, L., Mesopotamia, the Babylonian and Assyrian Civilizations, translated by Muharram Kamal, 2nd Edition, Egyptian General Book Organization, (Cairo, 1997.(

-14Hannoun, Nael, Historical and Literary Cuneiform Texts, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, (Beirut, 2015.(

-15Hannoun, Nael, The Epic of Gilgamesh, translation of the cuneiform text with the story "The Death of Gilgamesh" and linguistic analysis of the Akkadian text, Dar Al-Kharif for printing, publishing and distribution, (Damascus, 2006.(

-16Jacobson, Thorkild and others, Pre-philosophy, translated by Jabra Ibrahim Jabra, Library of Life, (Baghdad, 1960.(

-17Jawad, Hassan Fadel, Ethics in Ancient Iraqi Thought, House of Wisdom Publications, (Baghdad), 1999.

-18Kramer, Samuel Noah, From the Tablets of Sumer, translated by Taha Baqer, Franklin Press and Publishing, (Beirut, 1957.(

-19Labat, Rene, Religious Beliefs in Mesopotamia, translated by Father Alberabona and Walid Al-Jader, Baghdad University Press, (1988.(

28

-20Qasha, Suhail, The History of Thought in Ancient Iraq, Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, (Beirut, 2010.(

-21Rashid, Fawzi, the ancient Iraqi laws, Dar Al-Rasheed Publishing, (Baghdad, 1979.(

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

-22Roux, George, Ancient Iraq, translated by Hussein Alwan Hussein, Publications of the Ministry of Culture and Information, (Baghdad, 1984.(

-23Shammar, Georges Boyer, Criminal Responsibility in Assyrian and Babylonian Literatures, translated by Salim Al-Sweis, Dar Al-Rasheed Publishing, (Baghdad, 1981.(

-24Tomlin, A.F., Philosophers of the East, translated by Abdel Hamid Selim, 3rd edition, Dar Al Maaref, (Cairo, 1994.(

-25Tyumenev, "The State Economy in Ancient Sumer", Ancient Iraq, an Analytical Study of its Economic and Social Conditions, translated and commented by Salim Taha Al-Tikriti, 2nd Edition, House of Cultural Affairs, (Baghdad, 1986.(

ثانيا- المصادر والمراجع الأجنبية

-1Lambert, W.G, Babylonian Wisdom Literature, (Oxford, 1960.(

-2Luckenbill, D.D, Ancient Records of Assyria and Babylonia,(New York, 1996 .(

-3Oppenheim, A. Leo, "Babylonian and Assyrian Historical Texts", Ancient Near Eastern Texts, 3rd.ed (New Jersey,19

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية